

سؤال الأخلاق وعلاقة مستقبل الإنسان برهانات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة مقارنة -تحليلية نقدية-

The question of morality and the relationship of man's future with the bets
of the modern biotechnological revolution - a critical analytical approach -

بن طرات جلول

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)، djbentrat@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/07/31

تاريخ القبول: 2023/07/18

تاريخ الاستلام: 2023/02/05

ملخص:

تشكل الرؤية الاستشرافية لمستقبل الإنسان في ظل الصراع مع الثورات حجر الأساس لطبيعة العلاقة بين الثورة البيوتكنولوجية والمشكلات الأخلاقية التي صاحبت تلك التطورات والتحولت المعاصرة التي اختزلت تجليات هيمنة الحداثة الغربية وتحديات الثقافة العولمية المعاصرة، ومن ثم انفتح سؤال الأخلاق على طبيعة استعمال التكنولوجيات الحديثة في ظل الصراع مع ثورة التقنية، أين اصطدم الإنسان بأزمات البيوتكنولوجيا ورهاناتها التي انعكست سلباً على منظومة القيم الأخلاقية، لا سيما ظاهرة الإغتراب الثقافي التي استندست هذا الإنسان داخل تلك القضايا الراهنة، على غرار الموت الرحيم، وزراعة الأعضاء والهندسة الوراثية والإخصاب الصناعي وكل ماله علاقة بالثورات العلمية، وبذلك استهدفت الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة في مظهرها السلبي إنسانية الإنسان وهو ما حملته دلالات هذه الثورات في القرن الواحد والعشرون، ومن هذا المنظور أصبح التطور الأنثروبولوجي الجديد في ضوء هذه الثورة حتمية أخلاقية لإعادة بناء فهم الإنسان وقدرته على مواجهة كل ما صنعتته يده وأنتجه فكره من خلال تلك الاكتشافات والاختراعات العلمية والتكنولوجية على المستوى النظري والعملي، فاستشراف مستقبل الإنسان في ظل هذه المتغيرات والتحولت والثورات ينطلق من خلال إحداث الملاءمة والتوافق الأخلاقي بين القيم الإنسانية وثورة التقنية لترسيخ حقوق الإنسان في العالم، على غرار قيم العيش المشترك، وثقافة السلام والتسامح، وليس موت الإنسان من خلال هذه التكنولوجيات الحديثة وأثرها السلبي الذي أصبح يهدد كيانه ووجوده وأمنه الاجتماعي، وخاصة وأن الكثير من المجتمعات أصبحت تعترض على ما خلفته هذه الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة على غرار ظاهرة الاستنساخ أو فكرة الموت الرحيم ... إلخ، فهي حرب تكنولوجية حقيقية ضد الإنسانية، ومن ثم فإن قراءتنا الفلسفية لراهن هذه الثورات المعاصرة قد اكتملت في رؤيتنا المستقبلية للإنسان من خلال مجتمعات ما بعد الحداثة التي أعادت تصحيح مسار الحضارة الغربية بحثاً عن القيم المشتركة بين لغة العلم المعاصرة وما تستهدفه الفلسفة من خلال رسم المعالم الحداثية الصحيحة للإنسانية، وبمقتضى هذا الحوار الثقافي الحضاري تتحرك استعمالات الثورة البيوتكنولوجية على نحو أخلاقي يؤسس لقيم المستقبل التي تجتمع عندها كل مقومات الحضارة ورهاناتها المادية والأخلاقية من جهة، وتنتفح بشكل إيجابي على طبيعة هذا الفكر العولمي المعاصر من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق - الثورة البيوتكنولوجية - الحداثة - العولمة - الإغتراب - الاستنساخ - الموت الرحيم.

Abstract:

A forward-looking vision of man's future in conflict with revolutions is the cornerstone of the nature of the relationship between the biotechnological revolution and the moral problems that accompanied those developments and contemporary transformations, which have reduced the manifestations of Western modernity and the challenges of today's globalized culture. and thus the question of ethics opened up about the nature of the use of modern technologies in conflict with the technical revolution, Where human bets and biotechnology crises have adversely affected the ethical value system human beings ", particularly the phenomenon of cultural alienation that has been reproduced within those current issues, Similar to euthanasia, organ transplantation, genetic engineering, industrial fertilization and all its money related to scientific revolutions, The modern biotechnological revolution, in its negative appearance, targeted man's humanity, as the connotations of these revolutions carried in the twenty-first century. From this perspective, the new anthropological development in the light of this revolution has become a moral imperative to rebuild man's understanding and ability to cope with everything his hand has created and produced his thinking through such scientific and technological discoveries and inventions at the theoretical and practical level, Looking ahead to man's future in these variables, transformations and revolutions is driven by the creation of a compatibility and moral compatibility between human values and the technical revolution to entrench human rights in the world. like the values of living together, a culture of peace and tolerance, and not the death of human beings through these modern technologies and their negative impact, which has come to threaten their entity, existence and social security, In particular, many societies have come to object to the legacy of this contemporary biotechnological revolution, similar to the phenomenon of cloning or the notion of euthanasia... etc.It is a real technological war against humanity, and therefore our philosophical reading of the bet of these contemporary revolutions has been completed in our future vision of man through postmodernist societies that have re-corrected the course of Western civilization in search of shared values between the language of contemporary science and what philosophy targets by drawing the right modernist milestones of humanity. Under this cultural dialogue, the uses of the biotechnological revolution move in an ethical manner that establishes the values of the future at which all the elements of civilization and their material and moral bets come together on the one hand. and opens positively to the nature of this contemporary globalized thought.

Keywords: Ethics - biotechnological revolution - modernity - globalization - alienation - cloning - euthanasia.

1. مقدمة:

شكل سؤال الأخلاق في الدراسات الفلسفية المعاصرة حجر الأساس لتلك التطورات والتحولات الحضارية التي صاحبت مفهوم الحداثة وظاهرة العولمة، أين اختزلت رهانات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة مستقبل الإنسان في صراعه مع ثورة الاتصالات وعصر المعلومات من جهة، وفي اغترابه واستلابه الثقافي والاجتماعي والفكري والإيديولوجي من جهة أخرى، ومن ثم استهدفت هذه الثورات العلمية تحرير الإنسان من عبودية التخلف والجهل والانغلاق إلى تعزيز قيم النهضة والتنوير، لاسيما ما نلمسه من خلال تقنية العلم، أين انفرد عصر الآلة بسمات الحداثة الغربية التي انطوت تحتها دلالات ومعاني التحديث والتجديد والتطور والتقدم، خاصة أثر هذه الاكتشافات العلمية والاختراعات التقنية التي رسمت المعالم الحضارية لمستقبل الإنسان المعاصر وزودته بأدوات لصناعة شروط النهضة لإحداث ثورة الفكر الخلاق التي تجمع بين المعرفة والإنتاج وصناعة الكائن الأنواري، لذلك نجد أن الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة قد حملت في طبيعتها العلمية سيطرة الإنسان على الطبيعة من خلال معرفة قوانينها والإجابة على تساؤلاتها، فلغة العلم وقوانينه ونظرياته وتجاربته قد ساهمت في تمكين هذا الكائن من الانفتاح على هذه الثورات لمعرفة هذا العالم المجهول الذي اختزل استعمال العلم خارج منظومة القيم الأخلاقية، هذا التحول هو ما أنتج تلك الأزمة التي استهدفت مفهوم الصراع والاغتراب، لتستنسخ هذا الإنسان المعاصر داخل تلك القضايا الراهنة على غرار الموت الرحيم، وزراعة الأعضاء، والهندسة الوراثية والإخصاب الصناعي، وكل ماله علاقة بالإنتاج المادي للعقل الغربي، وفي هذا الإطار انطوت الألفية الثالثة للقرن العشرين تحت تلك الصورة النمطية للثقافة التكنولوجية المعاصرة التي جعلت العلم مجرد سلاح ذو حدين، خاصة طريقة استعمال هذه التكنولوجيات الحديثة

لأغراض لا انسانية متجاوزة سلطة الأخلاق وسيادتها من المنظور الديني والفلسفي، ومن هذا المنطلق فإن جدلية العلم والأخلاق قد تعدت الإطار الميتافيزيقي الكلاسيكي لتقيد استخدام هذه الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة في حدود الممارسات الأخلاقية التي لا تلحق بالإنسان أي ضرر كان ماديا أو معنويا، أي يجب أن لا ينظر العلم للإنسان أنه مجرد حقل للتجارب دون مراعاة عواطفه وانفعالاته ومشاعره وردود أفعاله، فالإنسان المعاصر يعيش جميع لحظات الصراع مع طبيعة هذه الثورات العلمية والتكنولوجية وهو ما جعله يستشرق مستقبل ما بعد الحداثة، أين يمكن إنتاج قيم ومفاهيم أخرى تعزز حضور الأخلاق كمرجعية فلسفية تؤسس لولادة لغة العيش المشترك مع الآخر، وثقافة التسامح والسلام، وقيم المواطنة داخل حوار الثقافات والحضارات والأديان، ومن ثم فإن ما يستهدف هذا المشروع لا يحمل في خلفياته الصراع أو الخلاف بين العلم والأخلاق، وإنما يؤسس لكيفية إنجاح الحوار الأخلاقي العلمي بين الحداثة ومستقبل ما بعد الحداثة، وفي هذا الإطار جاءت إشكالية هذا الموضوع لتقف عند حدود طبيعة سؤال الأخلاق وعلاقة مستقبل الإنسان برهانات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة فكيف استوعبت الأخلاق صراع الإنسان مع الثورات؟ وأين تظهر تجليات مستقبل هذا الإنسان ضمن راهن هذه الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة؟.

2. العرض:

1.2 الأخلاق ورهانات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة:

إن الحديث عن تحولات الفكر الأخلاقي المعاصر لا يخرج عن تلك التحديات والأزمات التي اصطدم بها الإنسان في ظل هذه التغيرات والتطورات التي انفتحت عليها كل ما أنتجته يده وفكره، فعرف الطريق إلى الحداثة والعولمة، أين اكتمل هذه الطريق بالثورة البيوتكنولوجية المعاصرة، فانفردت جميع العلوم الطبيعية والبيولوجية التجريبية بخصوصيات هذه الثورة، على غرار حقل البيولوجيا والطب، والفيزياء والكيمياء وعلم الفلك، لذلك فقد، "...

شهدت السنوات القليلة الماضية تطوراً هائلاً في كافة مجالات المعرفة، حتى أطلق على العصر الحالي عدة مسميات منها: عصر الانفجار المعلوماتي، وعصر المعلوماتية، وعصر الثورة العلمية والمعرفية، وعصر حرب المعلوماتية كقوى تتحكم في العالم، كما أصبح تقدم الدول لا يقاس بما تمتلكه من معلومات فحسب، بل وبما تستطيع تنظيمه وتوظيفه من هذه المعلومات لخدمة أفرادها...¹ وضمن هذا المعنى فإن مواجهة تحديات هذه الثورات العلمية المعرفية تنطلق من رؤيتنا المستقبلية للأخلاق وعلاقتها بتلك الأدوات المستعملة في تكييف هذه التطورات العلمية مع تلك المنظومة الأخلاقية التي تقوم عليها أهداف ورهانات هذه الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة، "... فقد نضج العالم كله ليس من خلال الفلسفة فقط، بل من خلال المعرفة التي طورها الكمبيوتر عند نهايات القرن العشرين، لقد كانت الفلسفة تسابق كل العلوم حتى بدأ الصراع بين الإيديولوجيا والمعرفة، واستمر طوال القرن العشرين حتى انتصرت المعرفة عند الإنسان من خلال إثبات نظرياته العلمية وصحتها كالنظرية النسبية مثلاً، واستكشافاته الجغرافية لكل العالم، وتطور معرفته لدواخل الإنسان وأجهزته من خلال تخصصات دقيقة، واكتشافاته الفضائية الحقيقية (...) وتطور العلوم السوسيولوجية لمعرفة المجتمعات، والعلوم السيكلولوجية لمعرفة تصرفات الإنسان... الخ، فكان أن وجد في تحولاته من المثاليات والإيديولوجيات إلى العقلانية ميداناً تعزز فيه التفكير والمنهج والنظرية والرؤية معاً، وبواسطة المعرفة انطلقت ظاهرة العولمة من جراء تفاقم هذه الخلفيات في القرن العشرين..."² ومن هذا المنظور اختزلت لغة الخطاب الأخلاقي المعاصر

¹ خالد عبد اللطيف محمد عمران، تقنيات تعليم الدراسات الاجتماعية وتعلمها في عصر المعلومات وثورة الاتصالات، رؤية تربوية معاصرة، الواروق، عمان، الأردن، ط1، 2012

² يسار الجميل، العولمة، الخلفيات الفلسفية والمواجهات الفكرية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 41، العدد، 3، يناير، مارس، 2013، ص150

طبيعة هذه التحولات لتحول كل إنجاز حضاري إلى معارف تستجيب للأخلاق من حيث الاستعمال والممارسة، خاصة أن تجليات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة وأنساقها الإبداعية قد استوعبت أزمة اتساع الهوة بين الإنسان وما خلفته هذه الثورات العلمية، فمظاهر المأساة والمعاناة التي يعيشها الإنسان المعاصر اليوم تكمن في هذا الصراع والصدام مع الحضارة أو بالأحرى الحداثة الغربية، "... فمن خلال التفكير في التساؤلات الآتية، هناك سؤال آخر بات يفرض نفسه، يخص الجدل، والحوار الجديد بين الفلسفة والعلم والأخلاق، والذي أضى حالياً يشكل جسوراً جديدة بين الثقافات والحضارات الإنسانية، فهل يفضي في نهاية المطاف إلى عرقلة تطور البحوث العلمية في ميدان علوم الصحة والحياة، وهي ميادين يسعى المشتغلون بها من حيث المبدأ على الأقل إلى تحسين ظروف حياة الإنسان، والتخفيف من معاناته وآلامه؟ وهل يجب الحفاظ على روح التفاؤل، والاستمرار في الاعتقاد بأن تلك الإشكالات الأخلاقية عابرة... وأن العلم وهو يتقدم يشق طرقاً جديدة في مسيرة تحرر الإنسان، أكثر مما يفعله السياسي؟"³؛ هذه التساؤلات تستهدف أخلة العلم في ظل هذه التحولات العالمية ورهانات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة، فخطاب النهايات الذي انتهت عنده الأخلاق والعلم قد جعلت الفلسفة تستهدف قراءة هذا الثابت والمتحول في حياة الإنسان المعاصر، لاسيما وأن علاقة الأخلاق بتلك الثورات العلمية هو ما اختزل مساهمة الفكر البيوتقني في التعريف بأخلاقيات الطب والبيولوجيا، "... إذ نجد مساهمة الفكر البيوتقني في إبداع الكثير من المفاهيم الجديدة في جانب المفهوم المركزي وهو مفهوم البيوتيقا نفسه، نجد مفاهيم أخرى مثل مفهوم: البيو-قانون "Bio droit" وهو ما يعرف بـ "الفكر القانوني الخاص بقضايا الطب والبيولوجيا والصحة" ومفهوم العلم التقني "Techno

³ موسى عبد الله، الفلسفة وخطاب النهايات، (مؤلف جماعي) حول حوال الفلسفة والعلم سؤال الثبات والتحول، إشراف

نابي بوعلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص29

science" زيادة على إثراء مضامين بعض المفاهيم الأخلاقية الأساسية والمصطلحات القديمة، مثل مفهوم الحق والواجب والمسؤولية والإحسان، ومفاهيم أخرى ذات ارتباط بعلاقة الطبيب وبالمريض مثل مفهوم الموت الرحيم، والإنجاب الاصطناعي والتوليد الجنسي والجسدي، ومفهوم تحسين النسل...، ويعتبر مفهوم "حقوق الإنسان" من أهم المفاهيم التي تم إغناؤها في هذا الإطار، حيث توجه الاهتمام إلى مدى احترام هذه الحقوق في ميادين الطب والبيولوجيا والصحة، بالإضافة إلى حقوق الأجيال الإنسانية القادمة، وعلى رأسها حق الحفاظ على هويتها وتنوعها، هذا الحق الذي يتعرض حالياً للانتهاك، وخاصة في إطار التصرف في الجينات الحاصل في مجال الهندسة الوراثية، وما يصاحب ذلك من تفكير في استنساخ الإنسان...⁴، وفي هذا الإطار أصبح التفكير في سؤال الأخلاق وراهن العلم من خلال هذه الثورات المعرفية التي كشفت عن طبيعة الرأسمال الثقافي الذي يربط رهانات الحداثة وتحديات العولمة بمستقبل الإنسان في إطار استجاباته وتفاعلاته مع هذا التطور والتقدم الحضاري الهائل، والخطر المتزايد لهذه الاستعمالات اللاأخلاقية للثورة البيوتكنولوجية المعاصرة وهذا ما صاحبه نسق الصراع بين الدين والغلم، فهناك الكثير من قضايا العلم قد رفضها الدين من الناحية الأخلاقية رغم تلك الثورة الخلاقة التي أحدثها العقل البشري، لذلك نجد أن الاستثمار التكنولوجي قد أسس لمشروع الإعداد المستقبلي للإنسان "... وهكذا إذا أردنا قياس ديناميكية المجتمعات ومستقبل تقدمها كان ذلك واضحاً من خلال ما ينتجه أبنائها من فرص لتنمية سمات الإبداع والابتكار فيما بينهم، ولقد نصح العلماء التربويون والاجتماعيين بحسن إعداد إنسان الغد والمستقبل وتثقيفه ثقافة مستقبلية إنسان القرن وتطوير قدراته الإبداعية كي يكون قادراً على التكيف مع عالم

⁴ المرجع نفسه، ص 31

الغدر(...) فقد يواجه الإنسان القارن القادم تغييرات تكنولوجية واختراعات إبداعية، ولذلك فإن الإبداع يعد أرقى مستويات النشاط المعرفي للإنسان ونوعاً من التفكير الإنتاجي...⁵ وفي هذا السياق فإن مشكلات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة قد صاحبت تصدع منظومة القيم الأخلاقية، أين انفرد الإنسان بأنانيته العمياء وعدوانيته في تحويل مسار التطور العلمي عن أهدافه وقيمه نحو الإنسانية، وقد أثبتت منظمة الصحة العالمية حجم الضرر الأخلاقي الذي لحق البشرية نتيجة هذه الثورات العلمية التي حملت معها بعض المحاسن والمساوئ الأخلاقية لاسيما اصطدام الإنسان المعاصر بمشكلات الحضارة الغربية التي اختزلت ثورة التقنية في الاكتشاف والاختراع دون النظر إلى طبيعة القيم الأخلاقية على مستوى الممارسة، وهو ما حملته هذه التحولات والتطورات التكنولوجية المعاصرة التي لم تستوعب النموذج القيمي الذي أسس له عصر النهضة والتنوير من خلال سؤال الأخلاق الذي استهدف الإصلاح والتغيير لاستشراف مستقبل العقل الغربي ضمن مجتمع ما بعد الحداثة، فرهانات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة قد أعادت رسم الحوار الأخلاقي بين العلم والتقنية في الفكر الفلسفي المعاصر خاصة ما تناوله هيدجر وهوسرل ونييتشه وهابرماس وفوكو وأعلام مدرسة فرانكفورت خاصة مع رؤية "هبرتر ماركيز" النقدية للتقنية وثورة الاتصالات وعصر المعلومات التي أدت إلى تفويض المنظومة الأخلاقية التي بدأت مع كانط ورورسو وفولتير ومونتسكيو واكتملت مع أخلاق العقل التواصلي عند "يورغن هابرماس"، "... فقد لاحظ هوسرل أن الأزمة التي يتخبط فيها العالم الغربي هي في عمقها "أزمة علوم" أي أزمة معرفية، أما هيدغر فقد انتقد العلم والتقنية كأداة للتحكم والقوة والهيمنة حيث حولت مدرسة فرانكفورت (هوركهايمر، أدرنو، بنيامين، ماركيز، هابرماس) فقد وجهوا انتقاداتهم اللاذعة للمشروع العلمي التقني وخلفياته الإيديولوجية التي أفرزت مظاهر

⁵ أماني غازي جرار، إبداع التفكير بين البعد التربوي والفكر الخلاق، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص170

وأشكال السيطرة على الإنسان...⁶ وضمن هذا المعنى فرض العلم هيمنته داخل تطور العقلانية التي أنتجت نسقا مغايرا لسؤال الأخلاق وكل ما تنطوي تحته من قيم لم تستجب إلها هذه الثورة البيوتكنولوجية، خاصة الطابع التقني والنفعي الذي صاحب نتائج هذه الثورة وانعكاساتها على الإنسان، فمن خلال طبيعة مظاهر هذه الهيمنة والسيطرة نجد أن العلم الحديث قد استهدف المعرفة دون القيم، وهو ما شكل أزمة أخلاقية قد اختزلت تمثالاتها ضمن استعمال هذه التكنولوجيات الحديثة خارج الأخلاق، ومن ثم انصرفت الحداثة الغربية والفكر العولمي المعاصر إلى ترسيخ مفهوم العبودية داخل إطار ثورة التقنية، ومن هذا المنظور تظهر الصراع بين العقلانية العلمية الوضعية وهذه القيم الإنسانية، أين تم أفول الأخلاق باعتبارها نظرية للسلوك التي بموجبها يمكن إعادة توجيه دور المعرفة العلمية والتقنية في ترسيخ وتعزيز الأخلاق في بعدها الثقافي والسياسي والاجتماعي قصد ربط مجتمعات الحداثة بقيم ولغة العقل التواصلي الذي يستهدف أخلاق المواطنة والتسامح والعيش المشترك والعدالة والحرية، دون التقيد باستعمال ما أنتجه العقل الأداتي الوضعي، وهكذا جاء خطاب التقنية على مستوى الممارسة مخالفا ومغايرا لمستوى التنظير الأخلاقي الذي اختزله الخطاب النيتشوي، والفكر البنيوي من خلال فلسفة موت الإله إلى موت الإنسان، ليظهر هذا الجدل الفلسفي بين الأخلاق والعلم، أين انصرف أحد الباحثين إلى تحليل وتفكيك طبيعة هذا الجدل من خلال رؤيته النقدية بقوله: "... إن كل نظرية أو ثورة علمية تستوجب نظرة فلسفية جديدة إلى الكون من ناحية، وتحدد وظيفة الأسئلة التي يحق للعلماء أن يطرحوها حول الطبيعة من ناحية أخرى (...). فكل نظرية أو

⁶ كمال بومنير، حول النقد الفلسفي للعلم والتقنية في الفكر الألماني المعاصر (هوسرل، هيدجر، فرانكفورت)، (مؤلف

جماعي) حول، حوار الفلسفة والعلم، سؤال الثبات والتحول، مرجع سابق، ص 219

اكتشاف جديد يثير تساؤلات فلسفية حول العالم، الإنسان، المعرفة وحدودها، وهذا ما يسمح لنا بفهم أعمق للأبعاد الفلسفية للعمل السائد الذي ينجم عنه مجموعة من الخطابات العلمية ذات الصبغة الفلسفية من حيث المضامين سواء أكانت أنطولوجية أو أبستمولوجية أو حتى أكيسولوجية...⁷ وفي هذا الإطار فإن رؤيتنا النقدية لطبيعة هذه التحولات العلمية هو ما يكشف عن طبيعة الصراع من أجل البقاء بالنسبة للإنسان المعاصر الذي انفتح على طبيعة هذه التحولات بشكل إيجابي وسليبي معا، ومن ثم ففي ظل هذا الانقلاب العلمي على الأخلاق اكتفى العقل البشري بنموذجه الجديد في ثورة التقنية لينفرد الفكر البيواتيقي بسمات هذا النموذج الذي اختزل راهن فلسفة العلم الحديث في رهانات الحداثة والعولمة التي حملت معها تحديات هذا العصر في عالم البيولوجيا والفيزياء، والرياضيات والهندسة الوراثية والطب والرقمنة، وغيرها من المجالات العلمية التي عرفت حضور العقل الأنواري، لا سيما وأن تجربة الغرب النهضة مع الثورة الكوبرنيكية إلى لحظة تجلي العقلانية الديكارتية وميلاد المثالية الأخلاقية الكانطية إلى تجلي ثورة نيتشه وهابرماس في ربط سؤال الثبات والتحول بعلاقة التقنية بالأخلاق، هذه المسألة الفلسفية قد تؤسس لرؤية جديدة تستجيب لمتطلبات هذا الراهن الذي لا يتلاءم مع حياة الإنسان في جوانبها الأخلاقية، "... فمن يبصر لغة العصر التي لا يجب القفز فوقها، فالبشرية قد قطعت شوطين تاريخيين هما: العصر الزراعي ثم العصر الصناعي، فإنها اليوم تدخل العصر الرقمي أو الإعلامي بلغته وعناوينه ومفاعيله الجديدة، هذه المفاعيل تقتضي الإتقان وإحسان التداول والتواصل، ومن لا يدبر وجوده وفق هذه الصيغ مآله التهميش والعيش خارج دائرة

⁷ مقدم مختارة، بين الفلسفة والعلم، الخطاب محور الجدل، (مؤلف جماعي) حول: حوار الفلسفة والعلم، سؤال الثبات والتحول، مرجع سابق، ص 240

هذا العصر الرقمي بثوراته ومفاعيله...⁸. وضمن هذا السياق شكل خطر الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة تهديدا للقيم الإنسانية رغم انخراط وانفتاح الإنسان المعاصر على طبيعة رهاناتها التكنولوجية الحديثة، واستعمالات أدواتها، إلا أن مشكلته الأخلاقية مع العلم قد استنسخت هذه الثورات العلمية التي حولت مسار العلم عن أهدافه ومقاصده الأخلاقية، خاصة أضرار التكنولوجيات الحديثة التي اصطدمت بمفاهيم العولمة، أين استهدفت هذه الثورات العلمية طبيعة الانفتاح الثقافي على دينامية العالم وحرته في الاختراع والابتكار والتجديد ضمن عالم المستقبليات الذي استشرى نموذج الحداثة، لذلك نجد أن الاستعمال البيوتكنولوجي المعاصر قد خلق فوضى حضارية امتدت إلى تلك التحولات والتطورات التي أدت إلى تصدع قيم الإنسانية وولادة عالم جديد لا يتحدث إلا بلغة الحضارة، ومن ثم فإن راهن الإنسان المعاصر قد استوعب كل تحديات وأزمات الحداثة والعولمة، "... فقد تمثل العولمة مصطحبة بالتكنولوجيا الجديدة للمعلومات والعمليات التجديدية الإبداعية التي تنتج عنها ثورة في تنظيم العمل، وإنتاج السلع والخدمات والعلاقات فيما بين الدول، بل وحتى الثقافات المحلية، لا يوجد مجتمع محصن من آثار هذه الثورة، ذلك أن العولمة تغير أسس وجذور العلاقة الإنسانية والحياة الاجتماعية..."⁹. وضمن هذا المعنى يتجه الحوار بين الإنسان والحضارة إلى تطوير كل منتج علمي إلى ثورة حقيقة قد تسمح بالاستثمار في هذه النظريات والتطبيقات العلمية، خاصة مجال البيواتيقا الذي جاء ليعرف بانعكاسات وآثار الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة، وهكذا

⁸ عبد الرزاق بلعقروز تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل، منشورات الاختلاف، الجزائر،

ط1، 2009، ص260

⁹ مارتن كارنوي، العولمة وإصلاح التعليم، ما يجب أن يعرفه المخططون؟ ترجمة: محمد جمال نوير، دار العربي، القاهرة، ط1،

2003، ص18

فإن الاستجابة لتحولات هذا الثورة قد يحمل معه مستقبل البشرية خاصة في مواجهة كل الأزمات العلمية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والصحية، وغيرها من المشكلات التي عانى منها الإنسان قبل معرفته لقوانين الطبيعة عن طريق هذه الثورات العلمية، فقد تمكن الإنسان من مواجهة تداعيات التخلف والفقر والمرض عن طريق الطب والصناعة والحاسوب وتطوير عصر المعلومات والاتصالات والتكنولوجيات، خاصة تلك الأمراض القاتلة، كداء السرطان والربو والملاريا والكوليرا وأنفلونزا الطيور والخنازير، ومرض جنون البقر، وفيرس إيبولا وكوفيد19 وغيرها من الأمراض التي استدعت ثورة العقل البشري، لامتلاك أدوات الهيمنة والسيطرة على هذه الحروب البيولوجية، إلا أن غياب الأخلاق قد جعل العقل العلمي يتحرك في نطاق سلبي، خاصة تهديد الإنسانية، فمستقبل الثورة البيوتكنولوجية في نظر رجال الدين يجب أن يستهدف انسانية الإنسان، لا سيما ما تعلق بقيم تنشئته الأخلاقية، وهذا ما أسست له مجتمعات ما بعد الحداثة في ربط مادية الحضارة الغربية بالجانب الروحي للإنسان، وهنا تكمن مهمة الفلسفة في توجيه الثورات العلمية حتى يلتزم العالم المهندس، والطبيب، والمخترع، والسياسي بالنزعة الأخلاقية للعلم التي تتحرك في حدود هذه المواثيق والדساتير والشرائع والأعراف والنظم التي جاءت لترسم المعالم الأخلاقية لاستعمالات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة، وهذا هو المفهوم الحقيقي لفلسفة عصر الأنوار التي بدأت بالإصلاح واكتملت في النهضة والتجديد.

2.2 الرؤية الاستشرافية لمستقبل الإنسان في ظل الصراع مع الثورات:

انفتح راهن الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة على قضايا الحداثة الغربية وثقافة الفكر العولمي المعاصر التي استوعبت تلك الأزمات والصدمات الحضارية مع الثورات العلمية، أين جاء خطاب البيوتيقا ليعزز علاقة مستقبل الإنسان المعاصر مع طبيعة هذه الثورات التي اختزلت رمزية القهر والاستبداد والهيمنة التكنولوجية، وهو ما شهده تنامي استغلال

الحدثة للإنسان في إطار رهانات فلسفة العلم التي اعتبرت ثورة التقنية فضاء للإبداع والتجديد العلمي، وضمن هذا المعنى فرض المشهد التنويري للعلوم حضوره داخل بوتقة الصراع مع طبيعة هذه التكنولوجيات الحديثة والاكتشافات العلمية المعاصرة، فمن ثورة كوبرنيكوس، وغاليلي، واكتشاف نيوتن للجاذبية، إلى النظرية النسبية لأينشتاين، إلى نظرية التطور عند داروين إلى اكتشافات باستور وكلودبرنارد، إلى اكتشاف فرويد وبياجيه ويونغ وآدler، إلى نظريات التعلم عند بافلوف وثرويندايك التي صاحبت تاريخ انفصال العلوم عن الفلسفة، أين ظهرت تجليات مستقبل الإنسان الذي انتقل من دائرة الانغلاق إلى لحظة الانفتاح على العلم، وهكذا أصبح الخطاب الحداثي للثورات العلمية بمثابة برادغم جديد يؤسس لاستشراف مستقبل مشروع ما بعد الحدثة، خاصة وأن الرهانات المعاصرة للثورة البيوتكنولوجية قد اختزلت المسألة النقدية للحدثة الغربية في بعدها الأخلاقي، "... فعلى جبهة العلم، العلوم لا تهتم أساسا بالمعنى والقصد والغاية، بقدر ما تهتم بمعرفة تركيب الأشياء وقوانينها وآليات عملها، فالعالم يتيح مثلاً، صنع قنابل نووية وتفجيرها على سطح الأرض أو في باطنها، ولكنه لا يكتثر بما ينجم عن ذلك من آثار وتداعيات على الحياة والكائنات والعلم يمكننا من معرفة الشيفرة الوراثية ومن إنتاج بشر في الحاضنات، أو إنجاب أطفال لهم أمهات ثلاث: البيولوجية والحامل والشرعية، ولكنه لا يهتم بالسؤال عن جدوى هذه المعرفة أو الإمكانية، لأن السؤال عن المعنى والغاية من شأن العلم، بل يتعداه إلى الخلقيات والإيديولوجيات والفلسفيات..."¹⁰. ومن هذا المنطلق اصطدم مستقبل الإنسان بطبيعة هذه الثورات في غياب ما تستهدفه التقنية وأثرها على انهيار المنظومة الأخلاقية،

¹⁰ علي حرب، رهانات الفلسفة في مواجهة ثلوث العدمية والبربرية والكارثة، أعمال ملتقى حول: الفلسفة وأسئلة الراهن،

مخبر الدراسات الفلسفية والأكسيولوجية، جامعة الجزائر2، الجزائر، ط1، 2013، ص49

لتتحول الحضارة ومنتوجها المادي العلمي إلى صنم في ظل هذا الصراع مع هذه الثورات. "... فلم تكن جهود العلماء في التخصصات البيولوجية والإيكولوجية وحدها في ميدان، أو صرخة معزولة بل كانت تعززها أصوات أخرى من الثيولوجيا والفلسفة والعلوم الإنسانية التي ساعدت في خوض معركة الإنسان الأخيرة مجسدة في الثورة البيئية، وقد ذكر "تايلر ميلر" بشأنها الثورة البيئية الإيكولوجية ستكون الثورة الأكثر شمولاً في تاريخ الجنس البشري، إنها تتضمن تشكيكا وتحويلاً إلى كل منظومتنا أو قواعدا الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والثقافية، هذه الثورة هي التي ستحرر رؤية الإنسان من أسر النظرة الاستغلالية التي جثمت على أفقه لقرون، بل إن الإنسان سخر وطور الوسائل في سبيل تسارع وتيرة هذا الاستغلال من منطلق صراعه مع الطبيعة ومع الأرض والذي عليه أن يحسمه لصالحه ولأجل هذه الغاية فقد استعمل العلم والتقنية وكل ما اخترعه وطروره وفق ما يرى "كلود ألأغر" غير أن النظرة إلى هذه الاستراتيجية قد تغيرت فيها المواقف إلى الخوف والحذر إزاء العلم والتقدم، وأيضاً انقلبت الاستراتيجية من الاستغلال من دون هوادة والعلم من دون وعي..."¹¹. وضمن هذا المعنى غدت أزمة ثورة التقنية عائقاً أمام الأخلاق، لاسيما نظرة الإنسان المستقبلية التي لم تستوعب هذا الصراع وطبيعة الخطر التكنولوجي الذي نتج عنه عنفا تجسد في صراع الإنسان ضد الطبيعة، وبذلك بقيت مظاهر هذا الصراع ملازمة للثورة البيوتكنولوجية المعاصرة التي اختزلت كل أشكال الاغتراب والاستلاب الحضاري داخل أزمت الحداثة والعولمة، وهكذا فإن كل الكوارث المجتمعية وتحديات البيوتيقا قد أدت إلى استبداد عصر الحداثة للإنسان، "... فبعد أن أحدث العقل العلمي ثوراته المعرفية الكبرى والتي تركت انعكاساتها العميقة والمريجة مادياً، علي مسيرة المجتمعات التي دخلت الأطوار المختلفة لعصر الصناعة والحداثة ومع تدشين حقبة

¹¹ محمد جديدي، الفلسفة والمنظور الإيكولوجي، المرجع نفسه، ص 114

جديدة، بدءاً من الربع الأخير من القرن الماضي، لعصر المجتمع ما بعد الصناعي أو ما بعد الحداثوي، فلقد حدثت تبدلات واسعة في العمر الزمني للدورات الحضارية الحالية، حيث نجتاز حقبة تكنولوجية معينة، ونشرع لتأسيس حقبة جديدة يغلب عليها علم تقنيات المعلوماتية، واقتصاديات المعرفة المؤتمتة الموجهة لمجتمع ما بعد الصناعة، فإن العمر الزمني لاستتاب النمط الجديد للحضارة ما بعد الصناعية سيكون أسرع...¹². ومن هذا المنظور شهد التطور العلمي والتقني تحولات قيمية، ومخاطر اجتماعية واقتصادية كان لها أثراً سلبياً على البشرية، خاصة مستقبل الإنسان الذي اجتمعت عنده هذه التحولات التي استهدفت ثقافة السلام وقيم العيش المشترك، وكل الأخلاق الإنسانية التي تصدعت على عتبة العنف والصراع والحروب البيولوجية والثورات العلمية المعاصرة، فعلاقة الإنسانية بالحضارة تحمل معها محاسن ثورة التقنية، أين نلمس تغير العالم وتجده في إطار العلم، في حين يبقى خطاب الهيمنة لهذه الثورات يؤسس لنهاية الإنسان وموته، وبداية عصر النهضة والحداثة والعولمة في إطار مساوئ الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة، وفي هذا السياق تغلبت القيم المادية للحضارة الغربية على القيم الروحية للإنسان، خاصة وأن راهن البيواتيقا ينظر إلى مستقبل الإنسان في ظل هذه الثورات من منظور توفير حاجيات الإنسان وتمكينه من الانفتاح على كل تطور علمي وتقدم تكنولوجي قصد مواجهة التخلف والعبودية، إلى درجة أن أصيب العلم بالعمى، "... وهكذا تتجلى أولوية العقل الأداة في السحر والإيهام الذي تمارسه التكنولوجيات فيجعلنا نلهث وراء حلول تكنولوجية في الوقت الذي يكون فيه الرهان على صعيد آخر، وهذه الظاهرة متواترة الحدوث في المجال السياسي كما يؤكد ذلك بقوة "بلاه Bellah" وفريقه، غير أن العقل الأداة يكتسح أيضاً مجالات أخرى من

¹² هيل فرح، الفلسفة المجتمعية الراهنة والتحديات السبعة للحداثة ومت بعدها؟ المرجع نفسه، ص 168

بينها الطب مثلاً، وقد بين "باتريسا بينير Patricia-benner" في العديد من كتبها العامة أن التكنولوجيا الطبية تؤدي غفي الغالب إلى اعتقال كل أشكال العناية التي بتطلبها علاج المريض من حيث هو شخص يملك حياة خاصة، وليس بوصفه جهازاً يشكو من مشكل تقني معين، فثمة نوع من التبخيس مارسه المجتمع والفريق الطبي إزاء الدور الذي تعبّه الممرضات اللواتي يقدمن هذه اللمسة البشرية الدافئة التي تعوز الخبراء المتفوقين داخل معرفتهم التقنية...¹³. وضمن هذا المعنى قد ساهمت هذه التكنولوجيات الحديثة في تزويد الإنسان بأدوات تحديث عقله وتطويره، إلا أن كل ما صنعت يده وأنتجه تفكيره قد ثار عليه في المستقبل، فقد عجز عن التحكم والسيطرة على هذه الثورات العلمية، خاصة وأن طبيعة التفاعل والحوار الحضاري مع البيوتيقا هو ما يدعو إلى المعرفة المستقبلية لتلك العلوم وثورتها في إطار الأخلاق والقيم التي تؤسس لاختزال براديغم العقل الأداتي النفعي داخل نسق فلسفي ينفتح على كل الرهانات التي تتعايش معها الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة، فقد حاول "إدغار موران" أن يستشرف ويفكك مستقبل الإنسان المعاصر من خلال نظريته المركبة وفكره المتعدد، إذ يرى، "... أنه الواضح أن تغيير العالم هو أساساً تغيير في أدوات فهم العالم التي لا توجد في أي علم، ولا توجد في العلوم المقطعة والمفصولة عن بعضها البعض، من ثم لن يكون الفكر المركب، ولا الفيزياء ولا البيولوجيا ولا الكيمياء، ولا علم الاجتماع ولا الآداب ولا الأستيمولوجيا، فالفكر المركب هو مجموع هذه العلوم والمباحث وقد توحدت في أفق ومشروع واحد هو أفق التعقيد..."¹⁴. ومن المنظور فإن نظرتنا إلى المشكلات الأخلاقية التي صاحبت هذه الثورات قد تجعل من مفهوم التفوق العلمي والتقني ورهانات الصراع من أجل

¹³ شارل تايلور، مظاهر القلق في الحضارة الحديثة، ترجمة: حسن العمراني، مجلة الأمانة الحديثة، المغرب، العدد: 3-4،

أكتوبر، 2011، ص 152

¹⁴ منتصر حمادة، إدغار موران، يفكك منظومة الفكر والمستقبل: العلم مصاب بالعمى الذي يظهر في عجزه على المراقبة،

المرجع نفسه، ص 146

البقاء منفتحاً كل أشكال القهر والاستغلال، وتعقيدات الحضارة خاصة في ظل المنظومة الجديدة لمفردات اللغة العلمية المعاصرة التي لم تستوعب المنظومة الأخلاقية من خلال تسخير هذه الثورات العلمية لصالح الإنسان وليس ضده، لذلك ينطلق مستقبل الحضارة من الرؤية الحداثية الأخلاقية للفكر البيوتائقي، أين يجب على الأطباء وعلماء البيولوجيا والفلك والفيزياء، وحتى الباحثين في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية أن يؤسسوا لطبيعة هذا المستقبل من خلال ربط هذه الرؤية بتلك القيم خارج صراع الأفكار والأنساق واغتراب الحضارة، وسيطرة التقنية، فرهانات ما بعد الحداثة قد انصرفت إلى إضفاء أخلاق العقل التواصلي على العقل الأداتي، خاصة ما ذهب إليه "هابرماس" على أن، "... ظاهرة العودة إلى الأخلاق قد صارت بصمة في المنتج المعرفي المعاصر، لهول ما تسببت فيه التقنية من أضرار على الإنسان والطبيعة، الشاهد الأكبر على ذلك هو تكاثر النظريات في هذا الشأن، من أبرزها نظرية المسؤولية عند الفيلسوف الألماني "هانس حوناس" في كتابه المتميز: "مبدأ المسؤولية: ؟ أخلاقيات من أجل الحضارة التكنولوجية"، والفيلسوف "كارل أوتو آبل" في رسالته: "في مسألة التأسيس العقلي للأخلاقيات في عهد العلم"، ونظرية الضعف التي نجدها عند الفيلسوفين "جاك إيبول" في مقالته الشهيرة: بحث من أجل أخلاقيات المجتمع التقني، و"دومنيك جانيكو" في كتابه "قوة المعقول"، ونظريته التي طورها "أخلاقيات التواصل..."¹⁵.

وفي هذا الإطار فإن التأسيس لأخلاقيات العلم ينطلق من الانقلاب على العقلانية وتصحيح مسار الحداثة لاستشراف المستقبل الذي يستهدف طبيعة هذه الأخلاقيات، "... هذه العودة للدرس الأخلاقي في الفكر المعاصر يعكس الفراغ الذي أورثته التقنية في عصر العلم وضعف التواصل في عصر الاتصال، لقد أصبح الإنسان المعاصر يعاني من التواصل، والمفارقة

¹⁵ عبد الرزاق بلعقروز، مرجع سابق، ص 98

الكبرى أنه في زمن كثرة وسائل الاتصال التي ألغت التواصل وغيّرت من سيميائيته، حيث يعاني الإنسان الحديث من العلة والإحباط، وعدم تماسك النسيج الاجتماعي، ومن الاغتراب، والقيم المعرضة للاندثار...¹⁶. وهكذا فإن أزمة ترابنية القيم التي اختزلت المأساة والمعاناة الوجودية عند نيتشه تحمل أزمة الحداثة وتأثر العقل الأداتي الذي جرد العقلانية من طابعها الأخلاقي التنويري، أين شهدت تحولات الفكر الفلسفي المعاصر طبيعة هذا الانقلاب الحدائي على الأخلاق، "... فكما نعلم فإن التكنولوجيا هي نتاج الإنسان، هو يخلقها- إذا جاز التعبير- فهو المؤثر الأول فيها، لكنه بعد أن يفعل يتأثر فيها، وقد لمس علماء الاجتماع والنفس وغيرهم هذه التأثيرات في سلوكه، وطريقة تفكيره، وحياته، وعاداته، إن التكنولوجيا التي تبتكر لأجل تسهيل مهام الحياة، لا تؤدي تلك المهام فحسب، بل تسهم بتغيير طبيعة الإنسان السيكلوجية، وقد تصل تأثيراتها عند بعضهم إلى الناحية البيولوجية أيضا، هذا فضلا عن الناحية الاجتماعية التي رصدت فيها الأبحاث...¹⁷. فالتطور التكنولوجي قد غير نسق الحياة في غياب المعايير الأخلاقية التي تضبط وتتحكم في قوانين هذا التطور ونتائجه، لهذا الغرض حمل الإنسان، على عاتقه مقاومة ومواجهة هذا الصراع مع الثورات العلمية لرسم المعالم القيمية للمستقبل فالأزمة التي يعيشها الإنسان اليوم تكمن في اندثار هذه القيم مقابل كل انجاز حضاري يستجيب لمتطلبات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة، ومن ثم فراهن هذه الثورة قد طبعته أزمات القلق والاضطراب والمعاناة والصراع بحثا عن الحرية والسلام والسعادة والتسامح والتواصل، لذلك نجد أن هناك من أصبح متشائما من الحضارة، في وقت مضى كان منبهرا ومتفائلا من المستقبل في ظل ثورة الاتصالات وعصر

¹⁶ المرجع نفسه، ص 98-99

¹⁷ نضال بغدادي، ثلاثية: الطبيعة والإنسان والتكنولوجيا، مجلة دراسات فلسفية، تصدر عن الجمعية الجزائرية،

للدراستات الفلسفية، الجزائر، العدد2، جوان، 2014، ص113

المعلومات، والتحولت الرقمية وهذه التكنولوجيات الحديثة التي حملت معها ثورة الفكر الخلاق المبدع والمنتج، ومن ثم فإن المستقبل قد تعزز من خلال رؤية "اشبنجلز"، إذ يرى، "... أن المستقبل لا بد وأن يكون مرحلة انحلال وسقوط بالنسبة لثقافة الغرب وحضارته، ولا يوجد أي دليل على عكس هذه العملية، لأن الحضارات تزدهر وتلاشى مثلها مثل الكائنات العضوية، تتلاشى قوتها الإبداعية الخالقة..."¹⁸. إن الحديث عن تلك الرؤية الاستشرافية لمستقبل الإنسان في إطار صراعه مع جميع الثورات العلمية لا يخرج عن نطاق ما يشهده الراهن من تغيرات وتطورات وتحولات معاصرة حملت معها هذه الثقافة التكنولوجية التي اعتبرت سلاحا ذو حدين، فمن ناحية النمو والتطور والإبداع، إلى الصراع والاستعمال السلبي لهذه الثقافة نتيجة انفراد الإنسان بأنانيته وعدوانيته وإفراطه في الشر والقمع والعنف، وهكذا نرى أن تجرد العالم أو المهندس عن جملة من القيم الأخلاقية قد يجعل من تلك الاكتشافات العلمية، والاختراعات التكنولوجية مجرد وسائل لتحقيق غاية نفعية، ومن ثم قد يحمل مستقبل البشرية بذور فئائه من الداخل والخارج، وهكذا نجد أن مواجهة الدين للعلم كان لخلفية هذه الحروب البيولوجية، واستعمال أسلحة الدمار الشامل، وتحويل كل التكنولوجيات الحديثة في مجال جميع العلوم إلى أغراض لا إنسانية، لذلك تحاول فلسفة البيواتيقا أن تكيف هذه الثورات العلمية مع الأخلاق، وتنقد كل خطاب سيامي أو ديني أو علمي ينطلق من ثقافة إيديولوجية عمياء تؤسس للصراع، وتحول حياة الإنسان المعاصر إلى شقاء أبدي، فالمجتمعات الحديثة قد استوعبت راهن هذه الثورات العلمية، وهكذا اصطدمت فلسفة القيم بالتطور التكنولوجي في غياب مستقبل أخلاقيات العلم المعاصر، خاصة الصراع بين أخلاق البيولوجيا ورهانات التقنية، فكل قضايا البيواتيقا

¹⁸ محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1991، ص16

قد كشفت عن العلاقة الجدلية بين العلم والأخلاق على المستوى النظري والتطبيقي، لا سيما ما نراه من خلال مسألة الموت الرحيم، والإجهاض بين التحريم والمشروعية في إطار أخلاقيات الطب، وبالتالي فإن سؤال المستقبل في ظل هذه الرهانات يتطلب إعادة النظر في قوانين البيوتيقا لربط المعرفة البيولوجية بالقيم الإنسانية، لاسيما تلك الاختراعات التي اقترنت بعلم الأحياء، لذلك نجد أن أزمة مستقبل الإنسان وليدة هذه الثورات العلمية، فمهمة الفلسفة تبدأ بأخلاق العلم وتكتمل في العودة إلى براديجم القيم الذي لا يثير جدل البيوتيقا في الصراع، وإنما يوجه تطوير نظريات العلم وتطبيقاته في علم البيولوجيا المعاصرة على نحو أخلاقي يؤسس لمستقبل الإنسان ومصيره في ظل رهانات البيوتيقا، وضمن هذا المعنى فإن إنجازات العلم الحديث قد عادت الطريق لتاريخ تطور الثورة البيولوجية إلى البيوتيقا، خاصة وأن كل التقنيات الطبية وقيمتها الأخلاقية قد اختزلت ثالث العلاقة بين البيوتيقا مع الفلسفة والطب والبيولوجيا، هذه العلاقة قد جعلت العالم يعرف تحولات معاصرة انفتحت عليها جميع العلوم، وكشف عن عصر نهاية الفلسفة، خاصة في إطار العلاقة بين العلم والتقنية والبيوتيقا، وهذا ما حذر منه "هابرماس" انطلاقاً من هيمنة الرأسمالية وهذه التقنية، ليدعو إلى التحرر من الاستبداد التقني قصد استشراف مستقبل الإنسان في ظل عصر الحداثة والتصنيع، وهكذا أحدثت ثورة التقنية تحولات عملية ساهمت بشكل سلبي في الاهتمام بالطابع العلمي لهذه الثورة البيوتكنولوجية خاصة في مجال الهندسة الوراثية وما استهدف ظاهرة الإخصاب الصناعي أو ما عرف بأطفال الأنابيب، وزراعة الأعضاء، وتعقيم المعاقين، وأبحاث الجينوم، وهكذا فإن المسألة النقدية لمشروع التنوير والعقلانية الأداتية هو بمثابة وسيلة لمعرفة تناقضات العقل الغربي وهيمنته على الفكر الأخلاقي، لذلك نجد أن هذه الحرب البيولوجية كانت أخطر من الأسلحة الكيميائية خاصة إجهاض حقوق المرضى والأجنة، وهو ما اختزل أزمة العلم في مجال البيولوجيا، على المستوى الأخلاقي والعلمي، ومن ثم نجد أن نهاية القرن العشرين قد شهد هذه الطفرة

التكنولوجية التي استجابت لهذه التحولات العلمية، فمستقبل مجتمع ما بعد الحداثة يتحرك في نطاق نقد مفهوم التشيؤ والاغتراب والتقنية ببناء فلسفة أخلاقية لرسم مستقبل البواتيقا خارج هذا الصراع، ومن ثم التأسيس لولادة أنموذج علمي متحرر من وصاية وسيطرة التقنية، فما أنتجته الحضارة الغربية التي لم ينصف الطبيعة البشرية، لا سيما وأن الفضاء العلمي لثورة التقنية قد أنتج خطاب النهايات، وهو ما نلمسه على مستوى الكيمياء الحيوية، وعلم الخلايا: وعلم الأجنة: والتبرع بالأعضاء: والموت الرحيم لكن من جهة أخرى يخشى كل ما يهدد مستقبله وحياته من هذه الأمراض والحروب، لذلك فلا يمكن أن يستغني عن هذه الأبحاث والتجارب العلمية والطبية، والاكتشافات الفلكية، والاختراعات التكنولوجية، وضمن هذا المعنى فإن سؤال الأخلاق في ظل الصراع مع هذا الراهن هو ما حمل طبيعة هذا المستقبل من خلال العودة إلى الجوهر الأخلاقي للطبيعة البشرية وتطوير قيم جديدة تؤسس لفكر بيواتيقي يرسخ مفهوم المقدس الديني وليس المندس الذي فرضته تقنية العلم من خلال عصر التكنولوجيا، ومن ثم لا يمكن إحداث قطعية كلية مع طبيعة الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة، وإنما يمكن تقديم بدائل أخلاقية لتعزيز مشروعية استعمال هذه التكنولوجيات الحديثة من خلال استهداف مشروع فلاسفة التنوير، وبعث أفكار كانط وهابرماس وإدغار موران وغيرهم لإرساء المعالم الإنسانية والقيم الأخلاقية للحداثة، وإحداث الملاءمة الفلسفية بين الإنسان وهذه الثورات

3. خاتمة:

يشكل أفق ما بعد الحداثة في إطار رهانات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة فضاء لنقد تقنية العلم من جهة، والتفكير في مستقبل الإنسان في ظل تحديات العولمة من جهة أخرى، فمظاهر الهيمنة والسيطرة لهذه التكنولوجيات الحديثة مع نهاية القرن العشرين كما أشرنا إلى ذلك سابقا هو وليد

تقويض المنظومة الأخلاقية : وحضور وحشية الانسان المعاصر وعدوانيته وغريزته الحيوانية التي جعلته يتمركز حول العقل الأداتي، ويستعمل العلم لأغراض لا إنسانية ولا أخلاقية، ومن ثم استعبدته هذه الثورات في الصراع، فطبيعة هذا الراهن الذي استوعب ثورة الاتصالات وعصر المعلومات قد كشف عن نوايا الغرب في السيطرة على العالم، وتحويل العقل العلمي إلى وسيلة نفعية، وهذا ما عرفته البشرية من حروب أتت على الأخضر واليابس، وأهلكت الحرث والنسل، خاصة ثورة ماركس ونزعتة المادية الاجتماعية التي أسست لبناء الاشتراكية لمواجهة خطر الرأسمالية والقضاء على مجتمع الطبقات، فالطرح الماركسي قد يختزل طبيعة المقاربة النقدية لهيمنة الثورات العلمية وسيطرة الآلات على قيم الإنسان وأخلاقه، خاصة تسليعه واغترابه وتقويض حقوقه في الحرية والعدالة والمساواة والكرامة، هذه الحقوق تشكل حلقة من حلقات الصراع مع قيم الشر في العالم، لذلك نجد أن علاقة سؤال الأخلاق برهانات الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة قد حمل تجليات هذا المستقبل الذي يجب أن يستهدف محاسن هذه الثورة، ويتحرر من مساوئها، خاصة في مجال الطب والبيولوجيا، وعلم الفيزياء والكيمياء والفلك، ومجالات علمية أخرى جعلت الإنسان في مواجهة العلم، وهكذا فإن تناقضات الحداثة الغربية قد انفردت بخصوصيات مبدأ البقاء للأقوى، لا سيما وأن أفول أصنام العقل الأداتي قد جعل الكثير من الفلاسفة يثيرون على خلفيات انقلاب العلم على الأخلاق، وينظرون إلى المستقبل من منظور الفكر البيوتقي الذي انفتح على أزمت الحداثة والعولمة، معتبرا أن الفكر الأخلاقي المعاصر قد أنتج بعض القيم على مستوى التنظير والممارسة قصد تحرير الإنسان من قيود هذه الثورات العلمية، ومن هذا المنطلق فإن الثقافة الغربية قد انفتحت على أساليب العلم ومناهجه لتستنسج البيواتيقا داخل هذا الاستهلاك الحداثي المعاصر، ولم ترع تلك الأخلاق في ترابيتها، ولم تبرمج المستقبل وفق هذه الثورات العلمية، لذلك اضطربت هذه المنظومة، وأصبحت المجتمعات المعاصرة تواجه طبيعة هذا الخطر، لا سيما موروث عصر النهضة والتنوير الذي انحرف عن مقاصد الإصلاح والتجديد، وهكذا سيكون إنجاب الطفل عن طريق الاستنساخ أكثر تهديد لمستقبل الإنسان، كما سيصبح العالم الافتراضي وقوانين التواصل الاجتماعي، ولغة الأنترنت ثورة

علمية أخرى قد تشوه الأخلاق والقيم، كما سيصبح هذا الرجل الآلي (الربوت) الذي صنعه الإنسان أكثر خطورة ودمارا، وهذه الأسلحة بمختلف أشكالها قد أجهضت ثقافة السلام ليتحول هذا الإنسان إلى حقل للتجارب يستثمر من خلاله العقل العلمي ابداعاته نظريا وعمليا، ومن ثم لم يصبح الفكر البيواتيقي حاملا لطبيعة قلق الحضارة، وإنما مشروعا أخلاقيا يستهدف المستقبل الذي تطمح إليه البشرية، حتى المفكر الجزائري "مالك بن نبي" قد تحدث عن مشكلات الحضارة وأزمات العالم العربي الإسلامي، خاصة ظاهرة اغتراب العولمة والحدثة لمستقبل البيواتيقي، فراهن هذه الثورة البيوتكنولوجية المعاصرة قد حمل معه كل الأزمات الأخلاقية التي تنفرد بالصراع، لذلك نجد أن ثقافة التعايش السلمي مع هذه الثورات العلمية ينطلق من استعمال الخطاب الأخلاقي للبيواتيقي خارج إطار صراع التناقضات والأضداد التي اختزلت تحولات التكنولوجيا المعاصرة، ولم يصبح العلم حارسا لقيم وأخلاق الدين وإنما تقيد بالعقل الأداتي الذي استوعبته الفلسفة البراغمية، وضمن هذا المعنى لا يمكن مواجهة هذه التطورات والتحولات بشكل مطلق، خاصة وأن لغة هابرماس النقدية واستشرافه لمستقبل الإنسان جاءت لتؤسس لولادة العلم الذي يحتفظ بجذوره الأخلاقية في الفلسفة قبل أن تنفصل العلوم عنها، وبذلك يمكن أن نعيد النظر في ثورة الحدثة وانعكاساتها في جميع المجالات، فالإنسان المعاصر اليوم يشهد صراعا مستمرا مع الثورة البيوتكنولوجية ستنتهي بمستقبل غامض في ظل استلاب واستغلال تقنية العلم له من الوجهة الأخلاقية، إلا أن التحرر من طبيعة هذه الأزمة سيمتد إلى عودة كل قيم التنوير الفلسفي التي تأسست مع سؤال النهضة والإصلاح داخل حوار العلم مع الأخلاق وفق مبادئ سترسمها البيواتيقي مستقبلا، هذا الحوار كفيل بولادة عصر جديد يحكمه مشروع ما بعد الحدثة، وستكون هذه الثورات العلمية في صالحه وليس ضده، وسيتمكن من استغلال الشروط المادية والأخلاقية للحضارة وفق نمط وأنموذج أكثر ملاءمة مع أفكاره ومعتقداته وأعرافه الاجتماعية التي تحمل السمات التنويرية الأخلاقية للفكر البيواتيقي المعاصر.

4. قائمة المراجع:

1. أعمال الملتقى حول: الفلسفة وأسئلة الراهن، مخبر الدراسات الفلسفية الأكسيولوجية، جامعة الجزائر2، الجزائر، ط1، 2013.
2. أماني غازي جرار، إبداع التفكير بين البعد التربوي والفكر الخلاق، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2013.
3. خالد عبد اللطيف محمد عمران، تقنيات تعليم الدراسات الاجتماعية وتعلمها في عصر المعلومات وثورة الاتصالات- رؤى تربوية معاصرة- الوراق، عمان، الأردن، ط1، 2012.
4. عبد الرزاق بلعقروز، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
5. مارتن كارنوي، العولمة وإصلاح التعليم، ما يجب أن يعرفه المخططون؟ ترجمة: محمد جمال نوير، دار العربي، القاهرة، ط1، 2013.
6. مجلة الأزمنة الحديثة، المغرب، العدد: 3-4 أكتوبر، 2011.
7. مجلة دراسات فلسفية، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، العدد: 2 جوان، 2014.
8. مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد41، العدد: 3، يناير-مارس، 2013.
9. محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1991.
- نابي بوعلي، حوار الفلسفة والعلم، سؤال الثبات والتحول، (مؤلف جماعي)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012.